نحو إنشاء أوقاف جديدة

قسم الشؤون العلمية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وبعد.

فإن للوقف في الإسلام أهمية كبيرة وفي تطوير المجتمع الإسلامي وتحسينه دوراً فعالاً، والتاريخ الإسلامي خير شاهد على ذلك، وفي ضوئه يمكن القول بأن الوقف الإسلامي لعب في خدمة البشرية أكثر من الحكومة في عديد من الجوانب، لما كان الوقف يتمتع بالحيوية والاستمرارية والاستقلالية.

تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة كان تصويراً عجيباً لم يعرفه غير الدين الإسلامي من الأديان والنظم الكثيرة المتواجدة على الأرض، فكان من عطاءات الإسلام وخيراته نحو البشرية، وأضفى على النشاطات العلمية والخدمات الدينية قوة وطموحاً، وبقى أملاً لدى الطوائف البشرية المنكوبة في الآفات والمصائب والأمراض والمشكلات.

مسيرة الوقف التي بدأت بوقف النبي المصطفى -ﷺ- لسبع حوائط بالمدينة المنورة ثم وقف عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، تواصلت واستمرت في كل عصر وفي كل منطقة سكنها المسلمون، حتى بلغت الممتلكات الوقفية تكثر وتتزايد وتتضخم في عدد هائل، كل أدلى بدلوه في هذا الخير حكومة وشعباً، رجالاً ونساءً، جماعات وأفراد، ولم تتوقف هذه المسيرة، اللهم إلا ما لوحظ من التضائل والذبول والاضمحلال، الأمر الذي أدى إلى تقلص دور الوقف في خدمة المجتمع وانكماش فعالياته، وتسبب في تفاقم المشكلات وتزايد الاحتياجات.

هذه الظاهرة كانت أكثر تعاسة في بلاد الهند، الأمر الذي جر الويلات والنكبات متوالية على مسلمي البلاد والنشء المسلم فيها في كافة شعب حياته، إن المستمع إلى أوضاع الأوقاف في الهند ليبكي دموعاً بل دماءاً، وينحنى على قلبه حشية أن ينشق ألماً وصدمة، يذكر مؤرخ الوقف الهندي الراهن أن عدد الأوقاف في الهند فقط يقدر بمائتين وخمسين ألف، وغالبيتها ليس لها أي مورد مالي، والظاهرة الكبيرة عنها هي الاحتلال الغاشم على أراضي الوقف من الحكومة ومن الأفراد، في ثلاث

ولايـــات: هماشل وهريانة وجندي كره توجد ثلاثون في المائة من الممتلكات تحت الاحـــتلال، أكثر من خمس مائة وقف احتلته الحكومة فقط، وفي ولاية ماديا براديش يوجد خمس وسبعون في المائة من الأوقاف تحت الاحتلال الحكومي، وزد على ذلك احتلال الأفراد والأشخاص، وأحوال الأوقاف في الولايات الأخرى من البلاد ليست بمعزل عن الظاهرة المذكورة، هذه قضية واحدة، والقضية الأخرى لهذه الأوقاف هي عـــدم الإيراد المالي أو قلة الإيراد المالي، فمثلاً عدد الأوقاف في دلهي فقط يبلغ ألفاً وســـتاً وأربعين، ولكن الإيراد المالي خلال العام 94-1995م كان واحد وستين مائة ألـــف روبية فقط، في ولاية بيهار اضطرت هيئة الوقف التي يوجد تحتها 2280 وقف مسجل، إلى أخذ مساعدة من الحكومة بقدر مليون ونصف مليون روبية، ومع ذلك لم تتمكن الهيئة من تغطية مصاريفها فقط، ولم يحصل الموظفون فيها على رواتبهم خلال اثـــني عـــشر شـــهراً في عـــام 1997م، وفي ولاية كيرالا كان الإيراد المالي في عام 96-1997م حـــوالي خمـــس وثلاثين ألف روبية، وتوفر الحكومة مليون وخمس مائة روبـــية سنوياً مساعدة، فالإيرادات المالية لمعظم الأوقاف في البلاد قليلة جداً، وكثير من الأوقاف ليس لها دخل، تعتمد الأوقاف على العطايا الشعبية، ولقلة الإيراد المالي لا يتم الإشراف المناسب على شؤونها، الأمر الذي يشجع المحتلين عليها.

هـــذه أوضاع الأوقاف في الهند، وليس بخاف على أحد ما يعيشه المسلمون هنا من مشكلات الفقر والتعاسة في كثير من مجالات حياتهم، فذهب دور الوقف من حياتهم، بل بدأت تذهب الأوقاف وتنتهي.

في العـــصر المعاصر، بدأت بعض الحكومات محاولاتها في مجال تنمية الوقف وتوصـــيل مـــنافعه إلى المجتمع المسلم، وإعادة دوره البناء والفعال في ترقيته وتطويره، وحـــل المشكلات التي يواجهها، ومن مقدمتها حكومة دولة الكويت، فمما لا شك فيه أن حكومة الكويت المتمثلة في وزارة الأوقاف وفي الأمانة العامة للأوقاف قدمت نموذجاً رائعاً أعلى في تنمية الوقف وترقيته ولعب دوره الفعال في خدمة المجتمع بكافة مجالاتـــه، كما قدمت هذه الحكومة نموذجاً أعلى في استخدام أحدث التقنيات وأرقى أســـاليب الاســـتثمار والتطوير، بل لهذه الحكومة نموذج في مجال إحياء سنة الوقف

وازدياد أعداده وأنواعه وفق مقتضيات العصر وحاجات المجتمع.

وقد نوه بهذه الخدمات الجليلة والفعاليات الرائقة كثير من الحكومات الإسلامية ومؤسسات المسلمين. ومجمع الفقه الإسلامي الهند ينوه بها دائماً ويريد أن تتم الاستفادة الواسعة من هذه النماذج.

إن مجمع الفقه الإسلامي الهند اهتم بموضوع الوقف بجميع جوانبه اهتماماً بالغاً، وركز جهوده على قضايا الوقف حلاً واقتراحاً وتقنيناً وإسهاماً وحواراً، فقد عقد المجمع ندوة فقهية بمشاركة علماء الهند على موضوع الوقف، وقد تفضل وفد مؤتمر من دولة الكويت مؤلف من كبار العلماء في هذه الندوة، وناقش المجمع فيها عديداً من القضايا والمشكلات العائقة في سبيل حفظ الوقف وصيانته وتطويره، وذلك من الجانب الفقهي، فجاءت قرارات المجمع بهذا الشأن كرصد فقهي في سبيل تطوير الأوقاف وتحسين فعالياتها، كانت هذه القرارات حول استبدال الوقف بشروطه، واتخاذ بعض أساليب الاستثمار الجديدة لرفع إيراده، واستخدام ريع الوقف الفائض في مشروعات تعليمية أخرى، وكذلك حول صيانة الأوقاف من المساجد والمقابر.

ولم يتوقف جهد المجمع على ذلك فقط، بل قام بنشر كتاب ضخم على موضوع الوقف باللغة المحلية لغة أردو، ثم كتاب آخر باللغة العربية. وعقد مخيماً تربوياً للباحثين والدارسين حول موضوع تنمية الوقف، كما طبع كتيباً على موضوع تنمية الوقف ومعالجة المشكلات المعاصرة، وفي هذا الكتيب الذي اشتمل على بحوث لفضيلة الشيخ مؤسس المجمع القاضي مجاهد الإسلام القاسمي قدمت عدة اقتراحات قيمة بشأن تنمية الوقف وإعادة دوره في تطوير المجتمع الإسلامي، ولا شك أن فضيلة الشيخ الراحل كتب بحوثه هذه بقلب باك وعين دامية مما لاحظ من الوضع المتدهور للأوقاف وتزايد مشكلات المسلمين، فإنه ركز في أول بحثه على:

1. صيانة عقارات الوقف بحيث لا تذهب سدى فقط.
2. ومحاولات لزيادة إيرادات الوقف وإنتاجيتها.

ثم استلفت الانتباه إلى موضوع التخطيط المتقدم في مجال التعامل الاقتصادي للوقف لاستثمار موارد الأوقاف. وقدم اقتراحه حول أمرين:

1. ضرورة إنشاء الأوقاف لا على مستوى محلي فحسب بل على الصعيد الدولي أيضاً حتى يمكن للمسلمين جميعاً الاستفادة منها وخاصة للمسلمين في الدول التي يعاونون فيها التخلف في مجال التعليم والاقتصاد.
2. ضـــرورة إنشاء مؤسسة عالمية لتنمية الوقف تقوم بتنمية العقارات الوقفية في البلدان المختلفة وجعلها أكثر فاعلية.

فـــلا شـــك أن الأمـــة الإسلامية على المستوى العالمي والمسلمين في الهند بـــالأخص في أمـــس حاجـــة إلى إنشاء أوقاف جديدة وإلى استثمار موارد الأوقاف الموجودة، بتخطيط دقيق وشفافية نيرة.

وسيراً على هذا الدرب يعقد المجمع هذه الندوة الفقهية الرابعة عشرة، ويناقش فـــيها بجانـــب الموضوعات الأخرى موضوع "إنشاء الوقف لحل مشكلات المجتمع المهمة" وذلك من أربعة جوانب:

1. الوقف للأرامل والمطلقات: لأنهن في غياب سيادة نظام النفقة الإسلامي يقعن في بؤس اقتصادي شديد، وربما يندفعن إلى طريق الدعارة، وفي بعض الأحايين تأتي حركات تحرير المرأة وتخطفهن وتستخدمهن في تشويه صورة الإسلام.
2. الوقف للأهداف التعليمية: لأن المسلمين بسبب فشو الجهالة يقعون في أنواع من السيئات في المجتمع مع أن الكفاءات الذهنية في أبناء المسلمين لا تقل عن غيرهـــم ولكـــن سوء أحوالهم الاقتصادية لا يوفر لهم فرصة أداء دورهم في الاختراعات والاكتشافات في مختلف المجالات.
3. الوقـــف للمرضى: لغلاء نفقات العلاج وشيوع الأمراض في المجتمع المسلم لا يـــستطيع أفـــراد المجتمع تحمل أعباء مصاريف العلاج ويزداد عدد المرضى، وتؤدي هذه الظاهرة إلى مشاكل عديدة في الأسرة والمجتمع.
4. الوقـــف للـــدفاع عن الدين: لأغراض دعوية إسلامية باتخاذ أساليب العصر يحتاج الأمر إلى معاونات مالية، وعدم تواجدها يجعل المجال فارغاً، وصالحاً للمعاونين لبث الشبهات والأكاذيب حول الإسلام.

وإن أفاضـــل العلماء من داخل البلاد وخارجها قدموا اقتراحاتهم بهذا الشأن

لإنـــشاء أوقات لأغراض مذكورة، وتقديم بحوثهم منظومات لإنشاء الوقف لكل من الأغراض الأربعة استيحاءاً من نصوص الكتاب والسنة التي تؤكد على رعاية المطلقات والأرامـــل ورعاية المرضى ونشر التعليم والدعوة، والنصوص متضافرة على الاهتمام الكبير بهذه الجوانب الأربعة، ذكرها أفاضل العلماء في بحوثهم.

أمـــا الواقع المولم والمؤسف في هذه المجالات الأربعة في المجتمع فهو غني عن البيان بالتفصيل، لأنه أصبح ظاهرة وويلاته باهرة، ولمعالجة هذا الواقع تأتي اقتراحات لأصحاب البحوث بشأن إنشاء الأوقاف كخطوة باعثة للهمم.

وإن المجمع إذ يعتز بوجود كبار الشخصيات وأفاضل العلماء من دولة الكويت وغيرها، يغتنم هذه الفرصة لعرض بعض موديلات لإنشاء الوقف.

1. إنشاء وقف نقدي لكفالة أهالي الأسرى والمفقودين والشهداء وتقديم الدعم القانوني لمن يحتاج إليه منهم.
2. إنـــشاء وقـــف لتعليم البنات والشباب في مجال العلم الحديث والتكنولوجيا والمهن الأخرى.
3. إنـــشاء وقـــف للتحقـــيق والدراسة في مجال الطب اليوناني بمعاونة الأطباء والحكماء بهدف تقديم الأدوية اليونانية على أحدث التقنيات.
4. إنـــشاء وقـــف للمـــدارس الدينـــية لتصبح المدارس مستقلة بذاتها في مجال المصاريف والنفقات.
5. إنـــشاء وقـــف لـــتقديم القروض التعليمية وتقديم التسهيلات اللازمة والمنح الدراسية للبنات.

إن وزارات الأوقـــاف للدول الإسلامية ينبغي أن تقدم التمويل لإنشاء هذه الأوقاف وتحسين نظم إدارتها وترقيتها.

وإن أفاضـــلكم أصحاب السعادة لديكم إلمام واسع بواقع المتغيرات السريعة في مجـــالات الـــسياسية والاســـتراتيجية على المستوى الدولي، وتزايد الصعوبات في الأعمال العلمية والدينية والتعليمية، وضرورة مكافحة الفقر المدقع والأمراض المزمنة والمـــشكلات المنوعة التي يواجهها المسلمون في شتى بقاع العالم، وإنكم أصحاب

خـــبرة وبـــصيرة مؤمنة، فنرى أن اقتراح إنشاء الأوقاف للأغراض المذكورة وكذلك إنـــشاء مؤسسة وقفية عالمية لاتخاذ خطوات تخطيطية راقية في مجال تنمية الأوقاف المتواجدة سوف يجد لديكم اهتماماً لائقاً وعناية فائقة.

والله يـــرعانا ويـــرعاكم ويوفقنا وإياكم لما فيه رضاه سبحانه وتعالى ونفع للمسلمين، فإنه على كل شيء قدير.